الرَّجْعَةُ السَّعِيدَةُ





القصص المدرسي

الرَّبْوَةُ السَّعِيدَة

تأليف

عبد الرحيم الكتاني و عبد الحق الكتاني

نشر : دار الثقافة - الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الدار التونسية للنشر

كانَ في قَرْيَةٍ مِنْ قُرى الْأَطْلَسِ بَيْتٌ وَضيعٌ يُطِلُّ مِنْ رَبْوَةٍ صَغيرَةٍ على المَنازِلِ الْأُخْرَى . وكانَ يَسْكُنُهُ رَجُلٌ في مُقْتَبَلِ الْعُمُرِ ، لا يَمْلِكُ مِنْ مَتاعِ الدُّنْيا إلَّا قَليلاً ، لكِنَّهُ كانَ راضِياً بِقِسْمَتِهِ مِنَ الْحَياةِ ، دائِمَ الْبِشْرِ وَالتَّفاؤُلِ لا يَفْتُرُ عَنِ الضَّحِكِ ولا يُقَطِّبُ لَهُ جَبينٌ ، حَتَّى إنَّ النَّاسَ لَقَّبوهُ بِأَبي بِشْرٍ وكانَ مِنْهُمْ مَنْ يُسَمِّيهُ بَشيراً . وكانَتْ لَهُ زَوْجَةٌ اسْمُها بُشْرَى ، كانَتْ تُحِبُّهُ حُباً جَماً وَتُشْفِقُ عَلَيْهِ مِنْ كُلِّ هَوْلٍ وَتَعْمَلُ كُلَّ ما في وُسْعِها لِإِسْعادِهِ ، وَتَتَفَنَّنُ في إِرْضائِهِ ، وَتُشْعِرُهُ دائِماً بِأَنَّها راضِيَةٌ عَنْ حَياتِها كُلَّ الرِّضا . فَما كانَ زَوْجُها يَأْتي عَمَلاً إِلَّا حَبَّذَتْهُ ولا يَرَى رَأْياً إِلَّا أَيَّدَتْهُ . وكانَ أَبو بِشْرٍ يُبادِلُها الْحُبَّ وَيُقَدِّرُ مَكانَتَها في حَياتِهِ وَيَعْتَرِفُ لَها بِالْجَميلِ .

فَكانا يَعيشانِ عِيشَةً سَعيدَةً كُلُّها هَناءٌ وَراحَةُ بالٍ ، لا يَخافانِ

فَقْراً ولا يهابانِ شَيْخُوخَةً ولا يَتحسَّرانِ على فائِتٍ .

وكانت لَهُما بَقرَةٌ حَلُوبٌ جَمِيلَةُ الْهَيْئَةِ فاقِعَـــةُ اللَّوْنِ تَسُرُّ النَّاظِرِينَ . كانَتْ تَدرُّ عَلَيْهِما مِنْ لَبَنِها وتَلِدُ لَهُما عُجولاً ما كانَ النَّاسُ يَرَوْنَ لَها مَثِيـــلاً . فارْتَأى أَبُو بِشْرٍ ذاتَ مَساءٍ أَنْ يَبِيعَها مُدَّعِياً أَنَّها قَدْ طَعَنَتْ في السِّنِّ وأَنَّ في السُّوقِ بَقَـــراً كَثِيراً خَيْراً مِنْها .

فَما إِنْ أَخْبَرَ أَبو بِشْرٍ زَوْجَتَهُ بِما اعْتَزَمَهُ حَتَّى هَشَّتْ لِلْفِكْرَةِ وَبَشَّتْ وقالَتْ لِزَوْجِها :

ــ إِنْ كُنْتَ يا عَزِيزِي تَرَى في بَيْعِها خَيْراً فَذلِكَ رَأْيِي أَنا أَيْضاً ، ولَيْستِ الْبَقَرَةُ هِيَ الَّتي تُسْعِدُنا ولَيْسَتْ هِيَ الَّتي تُغْنِينا !

فَلَمَّا كانَ الْغَدُ اسْتَيقَظَ أَبو بِشْرٍ في السَّحَرِ الْأَوَّلِ وَجعَلَ في قَرْنَيْ بَقَرَتِهِ رَسَنـــاً وقادَها إِلى المَدِينَةِ لِيَبِيعَها في سُوقِ الْحَيَوانات . فَقَطَعَ بِها الْأَنْهارَ وَصَعَّدَ في الْهَضَبات ، حَتَّى حَزَّ في يَدَيْهِ الْحَبْلُ ونالَتْ مِنْ رِجْلَيْهِ أَشْواكُ الطَّرِيقِ وأَتْعَبَهُ بُعْدُ

المسافةِ. ولمَّا وصلَ المدينةَ قصدَ سُوقَ الحيواناتِ توّاً لا يلْوِي على شيْءٍ. وما كانَ أكْبَرَ دَهْشتَهُ لمَّا وَجدَ ساحةَ السُّوقِ قاعاً صَفْصَفاً لَيْسَ فِيها إِنْسانٌ ولا حيَوانٌ. فَصَفَعَ جَبينَهُ صَفْعَةً سُمِعَتْ مِنْ بَعيدٍ وتَضاحكَ عالِياً واسْتَعاذَ باللهِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجيمِ، وذٰلِكَ لِأَنَّ اليَوْمَ لَمْ يَكُنْ يَوْمَ سُوقٍ! لٰكِنَّ أَبا بِشْرٍ لم يَغْضَبْ ولَمْ يَتَذَمَّرْ، وَإِنَّما عادَ أَدْراجَهُ يَجُرُّ بَقَرَتَهُ مِنْ وَرائِهِ، وَهُوَ لا يَتَمالَكُ عَنِ الضَّحِكِ مِنْ حِينٍ لِآخَرَ. وَلٰكِنْ سَرْعانَ ما أَدْرَكَهُ التَّعَبُ، فَرَفَعَ عَيْنَيْهِ وَرَأَى الشَّمْسَ في كَبِدِ السَّماءِ تَمِيلُ نَحْوَ الغَرْبِ، فَتَنَحَّى عَنِ الطَّريقِ ناحِيَةً وَاضْطَجَعَ وَسْطَ الأَعْشابِ وتَوَسَّدَ إِحْدَى يَدَيْهِ وَأَمْسَكَ زِمامَ البَقَرَةِ بِالأُخْرَى.

وَبَيْنَما هُوَ كَذٰلِكَ، إِذا بِراكِبٍ يَلُوحُ لَهُ مِنْ بَعِيدٍ. فَقامَ أَبُو بِشْرٍ مِنْ ضَجْعَتِهِ وأَخَذَ يَنْظُرُ إِلى ذٰلِكَ المُسافِرِ الرَّاكِبِ الوارِدِ عَلَيْهِ وإِلى بَغْلَتِهِ. فَتَمَنَّى لَوْ كانَتْ لَهُ دابَّةٌ مِثْلُها لِيَرْكَبَها في طَرِيقِ عَوْدَتِهِ إِلى قَرْيَتِهِ، فَأَلَحَّتْ عَلَيْهِ الرَّغْبَةُ حَتَّى خَطَرَ لَهُ أَنْ يَشْتَرِيَ البَغْلَةَ مِنْ صاحِبِها. وما قَرَّرَ حَتَّى

نَفَذَ ، فَاسْتَوْقَفَ المُسافِرَ وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَبيعَهُ بَغْلَتَهُ تِلْكَ الَّتي كانَ يَرْكَبُها وَأَنْ يَأْخُذَ عِوَضَها بَقَرَتَهُ السَّمينَةَ الْجَميلَةَ الَّتي لَمْ يَتَمَكَّنْ مِنْ بَيْعِها .

فَعَجِبَ المُسافِرُ لِلْأَمْرِ في أَوَّلِ وَهْلَةٍ ، لٰكِنْ سَرْعانَ ما قَبِلَ التَّبادُلَ لَمَّا نَظَرَ إِلى الْبَقَرَةِ فَأَعْجَبَتْهُ . فَأَخَذَها مِنْ أَبي بِشْرٍ وَسَلَّمَهُ الْبَغْلَةَ .

فَرَكِبَها أَبو بِشْرٍ وَاسْتَوى على صَهْوَتِها . فَأَعْجَبَهُ الرُّكوبُ وَأَخَذَ يَنْظُرُ في عِطْفَيهِ وَيَنْظُرُ إِلى الآفاقِ ، وَيَشْمَخُ بِأَنْفِهِ وَيُصَعِّرُ خَدَّهُ مُوقِناً أَنْ لَيْسَ في الكَوْنِ فارِسٌ واحِدٌ يُضاهيهِ. وَبَيْنَما هُوَ في خُيَلائِهِ وَإِعْجابِهِ بِنَفْسِهِ إِذا بِبَغْلَتِهِ تَعْثُرُ في حَجَرٍ صَلْدٍ حَتَّى إِنَّها جَثَتْ على رُكْبَتَيْها وَكادَتْ تُلْقي بِهِ إِلى الْأَرْضِ. فَاجْتَذَبَ رَسَنَها بِشِدَّةٍ وَأَنْهَضَها مِنْ كَبْوَتِها وَأَهْوى على كَفَلِها وَعلى عُنُقِها بِالضَّرَباتِ المُبَرِّحَةِ . فَأَسْرَعَتِ الْبَغْلَةُ في سَيْرِها ، ثُمَّ ما لَبِثَتْ أَنْ عادَتْ إِلَى تَعَثُّرِها وَتَثاقُلِها .

فَنَظَرَ أَبو بِشْرٍ إِلى أُذُنَيْها فَوَجَدَهُما جَرِبَتَيْنِ يَتَساقَطُ عَلَيْهِما الذُّبابُ وَالْتَفَتَ مِنْ وَرائِهِ وَنَظَرَ إِلى ذَنَبِها فَوَجَدَهُ مُتَناتِفَ



أبو بشر يقود البغلة

السَّبِيبِ . فَنزَلَ عنْها وأَمْعنَ فِيهْا النظَرَ ، فَوَجَـدَها مَهْزُولَةً ضامِرةَ البَطْنِ ظَـاهِرَةَ الضُّلُوعِ بارِزَةَ المَنْكِبَيْنِ والوَرِكَيْنِ . فَندِمَ على ما فعلَ ولاَمَ نَفْسَهُ على سُوءِ تَصرُّفِهِ وضَحِكَ ضِحْكَةَ المُسْتَيْقِظِ مِنْ غَفْلَتِهِ . فَأَخذَ بِعِنانِ البَغْلَةِ وصارَ يَقُودُها وهُوَ يُرَدِّدُ مُتَغَنِّياً :

أَيْنَ تَرَكْتَ الْحَلُوبْ
يا سائِقَ « الجَرُوبْ »

★ ★ ★

طَلَبْتَ مَطِيَّهْ
فَصِرْتَ لَها ضَحِيَّهْ
إِذَا قُلْتَ لها : عَدَسْ ! تَعَثَّرَتْ !
إِذَا قُلْتَ لَها : شَأْشَأْ ! تَنَفَّرَتْ !

★ ★ ★

أَيْنَ تَرَكْتَ الْحَلُوبْ ؟
يا سائِقَ « الجَرُوبْ » !

وَفيما هُوَ سائِرٌ يُرَدِّدُ أُغْنِيَتَهُ إِذْ مَرَّ بِقَطيعٍ مِنَ المَعيزِ يَرْعاهُ شَيْخٌ وَقُورٌ في حَقْلٍ حَصيدٍ كَثيرِ الأَعْشابِ وَالسَّنابِلِ المُتَناثِرَةِ. فَراوَدَتْهُ فِكْرَةُ التَّخَلُّصِ مِنْ بَغْلَتِهِ الهَزيلَةِ المُتَعَثِّرَةِ، فَقالَ في نَفْسِهِ: «وَلِمَ لا أُبَدِّلُ بَغْلَتي بِماعِزَةٍ أَسُوقُها إِلى بَيْتي لِتَخْلُفَ بَقَرَتي الضائِعَةَ؟ إِنَّ المِعْزى لَمَجْلَبَةٌ لِلْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ»!

فَتَرَدَّدَ قَليلاً لِعِلْمِهِ أَنَّ المَعيزَ أَقَلُّ ثَمَناً مِنَ البِغالِ، ثُمَّ أَيْقَنَ أَنَّ بَغْلَتَهُ تِلْكَ لَنْ يَكُونَ لَهُ فيها أَيُّ نَفْعٍ، وَأَنَّ الماعِزَةَ سَتَدُرُّ عَلَيْهِ مِنْ حَليبِها الْعَذْبِ وَسَيَنْتَفِعُ بِشَعْرِها.

فَعَرَّجَ عَلى القَطيعِ وَسَلَّمَ عَلى الشَّيْخِ الرَّاعي وَساوَمَهُ في إِحْدى مَعيزِهِ الَّتي أَعْجَبَتْهُ.

فَغالى الشَّيْخُ في الثَّمَنِ حَتَّى صارَ أَبو بِشْرٍ يَظُنُّ أَنَّهُ لَنْ يَخْسَرَ شَيْئاً إِنْ هُوَ بَدَّلَ بَغْلَتَهُ بِماعِزَةٍ رَأْساً بِرَأْسٍ. فَاقْتَرَحَ عَلى الرَّاعي التَّبادُلَ، فَتَظاهَرَ الرَّاعي بِعَدَمِ الرِّضا احْتِيالاً عَلى أَبي بِشْرٍ، وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَزيدَهُ شَيْئاً مِنَ النَّقْدِ عَلى البَغْلَةِ لِما فيها مِنْ عُيوبٍ ظاهِرَةٍ وَباطِنَةٍ.

فَأَقْسَمَ أَبُو بِشْرٍ بِمُحْرِجَاتِ الْأَيْمانِ أَنَّهُ ما كانَ يَحْمِلُ مَعَهُ فَلْساً وَاحِداً .

فَقَبِلَ الرَّاعِي التَّبادُلَ مُظْهِراً أَنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ إِلَّا عَلى مَضَضٍ وَأَنَّهُ ما كانَ لِيُبَدِّلَ ماعِزَتَهُ السَّمِينَةَ الْحَلُوبَ بِبَغْلَةٍ مَهْزُولَةٍ عَجْفاءَ لَوْلا إِلْحاحُ أَبِي بِشْرٍ .

وَلَمَّا ساقَ أَبُو بِشْرٍ ماعِزَتَهُ وَانْصَرَفَ ، ساوَرَهُ قَلِيلٌ مِنَ النَّدَمِ وَأَخَذَ يَتَصَوَّرُ مَزَايا البِغالِ وَيَسْتَعْرِضُ عُيوبَ المَعِزِ وَنَقائِصَها ، ثُمَّ راجَعَ رَأْيَهُ وَتَيَقَّنَ أَنَّ تِجارَتَهُ رابِحَةٌ لا مَحالَةَ ، وَأَنَّهُ وَزَوْجَتَهُ سَيَنْتَفِعانِ مِنْ هٰذِهِ المَاعِزَةِ انْتِفاعاً كَبِيراً . لٰكِنَّ المَاعِزَةَ صارَتْ تَمِيلُ عَنِ الطَّرِيقِ ذاتَ اليَمِينِ وَذاتَ الشِّمالِ جارَّةً مِنْ وَرائِها أَبا بِشْرٍ عَلى غَيْرِ رِضاً مِنْهُ ، وَتَنْدَفِعُ هارِبَةً إِلَى الْأَمامِ مَرَّةً ، وَتَمْتَنِعُ عَنِ السَّيْرِ مَرَّةً أُخْرَى . فَنَفِدَتْ مَعَها حِيَلُ أَبِي بِشْرٍ كُلُّها وَتَقَطَّعَتْ أَنْفاسُهُ مِنْ فَرْطِ السِّباقِ وَاللَّحاقِ .

فَانْتَحَى جانِباً مِنَ الطَّرِيقِ وَقَبَضَ عَلى أُذُنِ ماعِزَتِهِ وَخَلَدَ



أبو بشر يحاول الامساك بالعنزة الهاربة

إلى الْأَرْضِ لِيَسْتَرِيحَ . فَأَفْلَتَتْ مِنْهُ الْماعِزَةُ وَفَرَّتْ هارِبَةً نَحْوَ قَطِيعٍ آخَرَ كانَ على رَوَاحٍ ، فَانْدَسَّتْ بَيْنَ مَعِيزِهِ وَدَخَلَتْ مَعَهُ حَظِيرَتَهُ .

فَأَتَى أَبُو بِشْرٍ صاحِبَ الْحَظِيرَةِ وَقَصَّ عَلَيْهِ قِصَّتَهُ وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَشْتَرِيَها مِنْهُ . فَأَخْرَجَ الرَّجُلُ الْماعِـــزَةَ الدَّخِيلَةَ مِنْ حَظِيرَتِهِ وَرَدَّها إِلى صاحِبِها قائِلاً :

— خُذْ ماعِزَتَكَ يا رَجُلُ ! إِنَّ لي مِنَ الْمَعِيزِ مـا رَأَيْتَهُ ، وَلَيْسَ لي حاجَةٌ إِلى أُخْرَى .

فَأَلَحَّ أَبُو بِشْرٍ ، وَأَصَرَّ صاحِبُ الْحَظِيرَةِ عَلى الرَّفْضِ مُدَّعِياً أَنَّهُ لا يَمْلِكُ دِرْهَماً وَاحِداً وَأَنَّ مالَهُ كُلَّهُ مَتاعٌ وَماشِيَةٌ .

فَاقْتَرَحَ عَلَيْهِ أَبُو بِشْرٍ أَنْ يُبَدِّلَ لَهُ ماعِزَتَهُ بِما هُوَ أَسْهَلُ مِنْها عَلى السَّوْقِ أَوْ أَخَفُّ عَلى الْحَمْلِ .

فَتَفَرَّسَ فِيهِ الرَّجُلُ الْغَفْلَةَ وَاغْتَنَمَها فُرْصَةً لِيَتَّجِرَ تِجَـــارَةً رابِحَةً عَلى حِسابِ الْغَيْرِ ، فَقالَ لَهُ :

— إنِّي أُشْفِقُ عَلَيْكَ يا مُسافِرُ وَأَرْثي لِحالِكَ ، وَلِذا أَقْبَلُ مِنْكَ ماعِزَتَكَ ، وَلَمْ أَكُنْ راغِباً فيها ، وَأُعْطيكَ بَديلَها دِيكاً رُومِياً لا يُقَدَّرُ لَهُ ثَمَنٌ ، وَلَنْ تَرى مِنْهُ ما رَأَيْتَهُ مِنْ ماعِزَتِكَ المارِدَةِ . إنَّهُ لا يَسيرُ إلَّا في وَقارٍ ، يَهابُهُ الطَّيْرُ كُلُّهُنَّ ولا يُسْمَعُ لَهُنَّ شِجارٌ ! إنَّكَ لَوْ رَأَيْتَهُ يَتَبَخْتَرُ بَيْنَ الدَّجاجِ والْحَمامِ والْبَطِّ والإِوَزِّ لَظَنَنْتَهُ مَلِكاً يَصُولُ في مَمْلَكَتِهِ وَيَجُولُ . خُذْهُ مِنْ ساقَيْهِ واحْمِلْهُ إلى بَيْتِكَ ، وَسَيَكُونُ لَكَ أَنيساً وَلِأَهْلِ الْحَيِّ مُنَبِّهاً وَمُوقِظاً . وَسَيَكُونُ زِينَةً لِحَظيرَتِكَ ! وَلَنْ يُكَلِّفَكَ سِوَى حُبَيْباتٍ مِنَ الزَّرْعِ في كُلِّ يَوْمٍ وَجُرْعَةِ ماءٍ تَصُبُّها لَهُ في شَقَفٍ !

فَأَعْجَبَ ذٰلِكَ الوَصْفُ أَبا بِشْرٍ واشْتاقَ لِرُؤْيَةِ الدِّيكِ عَلى الفَوْرِ . فَأَحْضَرَهُ لَهُ صاحِبُهُ ، وَأَخَذَهُ أَبُو بِشْرٍ وانْصَرَفَ وَهُوَ يَشْعُرُ أَنَّهُ تَخَلَّصَ مِنْ حِمْلٍ ثَقيلٍ . وَقَدْ أَعْجَبَهُ شَكْلُ الدِّيكِ بِعُرْفِهِ الأَحْمَرِيِّ اللّامِعِ وَريشِهِ القاتِمِ المُتَأَلِّقِ المائِلِ إلى الزُّرْقَةِ مِنْ شِدَّةِ السَّوادِ . فَتَمَنَّى لَوْ يَرْفَعُ الدِّيكُ صَوْتَهُ بالغِناءِ لِيَتَحَقَّقَ ما قالَهُ لَهُ بائِعُهُ .

لٰكِنَّ الوَقْتَ لَمْ يَكُنْ وقتَ غِناءٍ ، إِذْ لَمْ يَبْقَ مِنَ النَّهارِ إِلَّا الشَّفَقُ . وكَيْفَ لِلدِّيكِ أَنْ يُغَنِّي وهُوَ مَرْفُوعُ القَدَمَيْنِ مُدَلَّى الرَّأْسِ يَكادُ يَخْتَنِقُ ؟ لَقَدْ بَلَغَ مِنْهُ الجَزَعُ والهَلَعُ أَقْصاهُ بَعْدَ أَنْ قُبِضَ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِ الدَّجاجِ بِشِدَّةٍ وعُنْفٍ دُونَ مُراعاةٍ لِمَكانَتِهِ بَيْنَ طَيْرِ الحَظِيرَةِ . وإِلى أَيْنَ يَذْهَبُ بِهِ هٰذَا الرَّجُلُ الغَرِيبُ ؟ فَما كانَ مِنْهُ إِلَّا أَنْ لَجَأَ إِلى الوَعْوَعَةِ لا يَفْتُرُ عَنْها . فَلا يَسْكُتُ بُرْهَةً وَجِيزَةً إِلَّا لِيَعُودَ إِلى الصِّياحِ لِمُدَّةٍ ؛ ومِنْ حِينٍ لِآخَرَ يُحاوِلُ التَّخَلُّصَ مِنْ قَبْضَةِ أَبِي بِشْرٍ ، فَيُصَفِّقُ بِجَناحَيْهِ حَتَّى يَتَطايَرَ الرِّيشُ وَيَلْوِي عُنُقَهُ ويَتَخَبَّطُ بِرِجْلَيْهِ .

فَأَنْكَرَ مِنْهُ أَبُو بِشْرٍ ذٰلِكَ وقالَ بِالجَهْرِ مُخاطِباً نَفْسَهُ : « ما أَغْبَى الدِّيَكَةَ عَلى جَمالِ أَرْياشِها وأَعْرافِها ! لَقَدْ خَدَعَنِي واللهِ صاحِبُ الحَظِيرَةِ . ولٰكِنَّ لِي مَعَ هٰذَا الدِّيكِ أَمْراً ! » .
قالَ أَبُو بِشْرٍ هٰذَا القَوْلَ بَعْدَما أَحَسَّ بِأَلَمِ الجُوعِ يَسْرِي في بَطْنِهِ ، فَتَذَكَّرَ أَنَّهُ لَمْ يُفْطِرِ اليَوْمَ ولَمْ يَتَغَدَّ . إِنَّ المَسافَةَ بَيْنَهُ وبَيْنَ القَرْيَةِ لا تَزالُ بَعِيدَةً ، فَلا بُدَّ لَهُ مِنْ وَجْبَةِ أَكْلٍ



أبو بشر يشوي الديك

شَهِيَّةٍ لِيَسْتَرْجِعَ بِها قُواهُ كَيْ يَسْتَطِيعَ أَنْ يُواصِلَ سَيْرَهُ . فَلِمَ لَا يَذْبَحُ دِيكَهُ هٰذا الوَعْواعَ ولِمَ لَا يَشْوِيهِ ويأْكُلُهُ ؟ قاوَمَ أَبُو بِشْرٍ هٰذِهِ ٱلْفِكْرَةَ خَوْفاً مِنْ أَنْ يَرْجِعَ إِلى زَوْجَتِهِ صِفْرَ اليَدَيْنِ ، وخَوْفاً مِنْ أَنْ يَسْخَرَ مِنْهُ جيرانُهُ وأَقارِبُهُ ، لٰكِنَّ الجُوعَ كانَ يُلِحُّ عَلَيْهِ ويُحَبِّبُ إِلَيْهِ لَحْمَ الدِّيكَةِ على الخُصُوصِ ، لَا سِيَّما إِذا كانَ شِواءً .

فَتَوَقَّفَ عَنْ سَيْرِهِ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ ، وأَخْرَجَ مِنْ جَيْبِهِ مُوساهُ ورَدَّهُ إِلَيْهِ ثَلاثَ مَرَّاتٍ ؛ ثُمَّ ... ثُمَّ إِنَّهُ لَمْ يَشْعُرْ إِلَّا وَقَدْ ذَبَحَ الدِّيكَ وصارَ يَرِيشُهُ رِيشَةً رِيشَةً . ثُمَّ أَشْعَلَ ناراً بِقَشِّ الذُّرَةِ المُلْقَى عَلى جَنَباتِ الطَّرِيقِ ، وشَوَى الدِّيكَ بِرُمَّتِهِ وازْدَرَدَهُ ازْدِراداً ، وحَمِدَ اللهَ وشَكَرَهُ على نِعَمِهِ الكَثِيرَةِ ، ومَسَحَ شارِبَهُ الطَّوِيلَ ولِحْيَتَهُ الكَثَّةَ ، وهَبَّ قائِماً وفي نَفْسِهِ غِبْطَةُ الظَّافِرِ المُنْتَصِرِ .

وبَعْدَ مَسِيرَةِ ساعَةٍ كامِلَةٍ دَخَلَ أَبُو بِشْرٍ القَرْيَةَ ، فَوَجَدَ أَهْلَها في نادِيهِمْ يَتَسامَرُونَ على ضَوْءِ بَدْرِ الصَّيْفِ المُتَكامِلِ

الْجَميلِ . فَاسْتَوْقَفُوهُ واسْتَفْسَرُوهُ عَنْ تَأَخُّرِهِ وَعَنْ سَفَرِهِ . ولَمَّا أَطْلَعَهُمْ على أَمْرِهِ أَخذُوا يَتَنَدَّرُونَ عَلَيْهِ ويَعِدُونَهُ مِنْ قِبَلِ زَوْجَتِهِ شَرًّا عَظِيماً .

فَلَمْ يَعْبَأْ أَبُو بِشْرٍ بِأَقْوَالِهِمْ ، بَلْ تَحَدَّاهُمْ جَميعاً وَأَقْسَمَ يَميناً إِنَّهُ لَنْ يَلْقَى مِنْ زَوْجَتِهِ إِلَّا حَرَارَةَ الْاسْتِقْبالِ .

فَضَحِكَ ٱلْقَوْمُ لِقَوْلِهِ وَتَعَجَّبوا ، فَاقْتَرَحَ رَجُلٌ مِنْهُمْ اسْمُهُ عَبَّاسٌ أَنْ يَتَرَاهَنُوا مَعَ أَبِي بِشْرٍ عَلى أَنْ يُهْدُوا إِلَيْهِ بَقَرَتَيْنِ إِنْ ثَبَتَ ما قالَهُ لَهُمْ ، وَأَنْ يُقيمَ هُوَ لَهُمْ وَليمَةً إِنْ لَمْ يَكُنْ صادِقاً . فَقَبِلَ ٱلْقَوْمُ الْمُراهَنَةَ ، وَقَبِلَها أَبُو بِشْرٍ وَطَلَبَ إِلى عَبّاسٍ أَنْ يَصْحَبَهُ إِلى بَيْتِهِ لِيَسْمَعَ بِنَفْسِهِ ما سَتَقُولُهُ الزَّوْجَةُ .

فَصَحِبَهُ عَبّاسٌ في صَمْتٍ ، وَلَمَّا وَصَلا سَقيفَةً كانَتْ أَمامَ الدّارِ انْتَحَى عَبّاسٌ ناحِيَةً مِنْها قُبالَةَ الْبابِ وَانْتَصَبَ فيها وَأَرْهَفَ سَمْعَهُ . فَما إِنْ طَرَقَ أَبُو بِشْرٍ بابَ الْمَنْزِلِ حَتّى أَسْرَعَتْ بُشْرَى وَخَرَجَتْ إِلَيْهِ وَاسْتَقْبَلَتْهُ مُتَهَلِّلَةً باسِمَةً :

ـــ ها أَنْت يا أَبا بِشْرٍ قَدْ عُدْتَ إِلَيَّ ! لَقَدْ وَاللهِ ساوَرَني الْخَوْفُ مِنْ جرَّاءِ تَأَخُّرِكَ ! كَيْفَ قَضَيْتَ نَهارَكَ يا عَزِيزِي؟ هَلْ تَغَدَّيْت وَهَلْ تَعَشَّيْت ؟ لا شَكَّ أَنَّكَ تَعِبْت كَثِيراً !

فَأَلْقَى إِلَيْها أَبو بِشْرٍ جِلْبابَهُ الَّذِي كانَ يَحْمِلُهُ عَلى كَتِفِهِ وَقال :

ـــ اطْمَئِنِّي يا عَزِيزَتي ! اطْمَئِنِّي يا بُشْرَى ! لَقَدْ مَرَّ كُلُّ شَيْءٍ عَلى أَحْسَنِ ما يُرَامُ ، وَلَيْسَ بِي جُوعٌ ولا عَطَشٌ. لَقَدْ قَضَيْتُ حاجاتي كُلَّها وَالْحَمْدُ لِلّهِ .

فَقالَتْ بُشْرَى :

ـــ قُصَّ عَلَيَّ ، يا عَزِيزِي ، قُصَّ لِأُسَرَّ مِثْلَما سُرِرْتَ !

فَقالَ :

ـــ إِنِّي يا بُشْرَى لَمْ أَجِدْ فِي السُّوقِ إِنْساً ، ولا جِنًّا ، لِأَنَّ الْيَوْمَ لَمْ يَكُنْ يَوْمَ سُوقٍ !

قالَ أَبُو بِشْرٍ ذٰلِكَ وَتَضاحَكَ حَتّى القَهْقَهَةِ وَشارَكَتْهُ بُشْرَى فِي ضَحِكِهِ وَقالَتْ :



بشرى تستقبل زوجها أبا بشر متهللة فرحة

— لَقَدْ نَسِينا ذلِكَ وَغَفَلْنا عَنْهُ ، هذا عَجَبٌ ! وَلكِنْ لا شَكَّ أَنَّكَ عَمَّرْتَ السُّوقَ وَحْدَكَ يا أَبا بِشْرٍ ، فَكُلُّ أَرْضٍ تَنْزِلُ بِها عامِرَةٌ وَكُلُّ أَرْضٍ لَسْتَ فِيها قَفْرٌ !

فَتَنَحْنَحَ أَبو بِشْرٍ وَكَأَنَّهُ يَطْلُبُ إِلى عَبّاسٍ أَنْ يَنْتَبِهَ جَيِّداً ، وَزادَ في حَدِيثِهِ قائِلاً :

— لَمْ يَكُنِ الْيَوْمُ يَوْمَ سُوقٍ يا بُشْرَى ، فَرَجَعْتُ أَدْراجِي بِالْبَقَرَةِ أَجُرُّها . وَلَمّا أَعْيانِي الْجَرُّ وَالسَّوْقُ بَدَّلْتُها بِبَغْلَةٍ رَكِبْتُها وَاسْتَرَحْتُ !

— هَنِيئاً لَنا بِبَغْلَتِنا ، ثُمَّ هَنِيئاً يا بَشِيرُ ! وَكَمْ كُنْتُ أَتَمَنَّى لَوْ تَكُونُ لَنا دابَّةٌ لِلرُّكُوبِ . أَيْنَ هِيَ لِأَعْلِفَها وَأَمْسَحَ ظَهْرَها .

— هَيْهاتَ يا بُشْرَى ! أَتَظُنِّينَنِي آتِيكِ بِبَغْلَةٍ مَهْزُولَةٍ جَرْباءَ غَيْرِ ذاتِ نَفْعٍ ؟ إِنِّي رَكِبْتُها لِمُدَّةٍ ثُمَّ بَدَّلْتُها بِماعِزَةٍ جَمِيلَةٍ ذاتِ ضَرْعٍ غاصٍّ بِاللَّبَنِ . أَما تَرَيْنَنِي قَدْ أَحْسَنْتُ صُنْعاً ؟

ـــ بَلَى ، يا عَزِيزِي ! إِنّي وَاللهِ لا أُحِبُّ ٱلْبِغالَ ولا آنَسُ لَها لِما فِيها مِنْ طَيْشٍ وَغَباوَةٍ . فَمَرْحَباً بِماعِزَتِنــــا الْجَمِيلَةِ وَأَهْلاً ! أَيْنَ هِيَ ؟ إِنَّ فِي ٱلْبُسْتانِ نَجْماً كَثِيراً سَأَحُشُّهُ لَها فِي الصَّباحِ ٱلْباكِرِ وَسَأَبْتَنِي لَها زَرِيبَةً تَرْتَعُ فِيها وَحْدَها وَتَلْعَبُ .

ـــ هُوَ ذٰلِكَ يا بُشْرَى ، هُوَ ذٰلِـكَ ! لٰكِنِّي ضِقْتُ ذَرْعاً بِها لِما حَمَلَتْنِي عَلَيْهِ مِنَ الْجَرْيِ وَالسَّبْقِ . وَقَدْ بَدَّلْتُها بِدِيكٍ جَمِيلِ الرِّيشِ بَهِيجِ ٱلْعُرْفِ نَدِيِّ الصَّوْتِ .

ـــ تَبًّا لِلْمَعِيزِ يا أَبا بِشْرٍ وَسُحْقاً لَها ! أَتْعَبَتْكَ الْخَبِيثَـةُ ، أَوْلى لَها ! لَقَدْ كُنْتُ واللهِ مُشْتاقَةً لِامْتِلاكِ دِيكٍ جَمِيلٍ يَكُونُ لِدارِنا زِينَةً وأُنْساً دُلَّنِي عَلَيْهِ ، دُلَّنِي !

ـــ ها هُوَ هُنا ، يا بُشْرَى ! ها هُوَ هُنا ! . قالَ أَبُو بِشْرٍ ما قالَهُ وأَشارَ إِلَى بَطْنِهِ ضاحِكاً ، ثُمَّ أَرْدَفَ :

ـــ كَيْفَ أَصْبِرُ على الْجُوعِ بَعْدَ سَفَرٍ مُضْنٍ ، وَلَوْ لَمْ آكُلِ الدِّيكَ لَما كُنْتُ أَمامَكِ الآنَ !

ـ وهل كنتُ أنتظرُ غيرَ عودتِكَ يا عزيزي لقدْ ترقّبتُها منذُ الظُّهرِ واستبطأتُها حتّى أخذَ الانتظـارُ يُقلقُني وصارتِ الهواجسُ تُساورُ ذِهني . إنَّ عودتَكَ عيدٌ يا أبا بِشرٍ ، وإنَّ رُجوعَكَ ظفرٌ . ادخلْ يا عزيزي لِتُزيلَ عنْكَ وعْثاءَ السَّفرِ ، ادخلْ ! لقدْ شاركْتُكَ أتعابَكَ في الخيالِ طوالَ النَّهارِ وقاسمْتُكَ همومَكَ . هلُمَّ نستَرِحْ ، وأنتَ أحوجُ منّي إلى الرّاحةِ ...

فلمّا سمِعَ عبّاسٌ ما قالَتْهُ بُشرى لِزوجِها ، وتأكَّـدَ مِنْ إخلاصِها لَهُ وتفانيها في خِدمتِهِ ، عـادَ إلى القومِ في نادِيهِمْ وأخبرَهُمْ بجليّـةِ الأمرِ ووصفَ لهُمُ الموقفَ بتفاصيلِه ، فتعجّبَ أكثرُهُمْ لأنَّهُمْ ما كانُوا يظنُّونَ أنَّ في الوُجودِ زوجـةً تتَّصِفُ بصِفاتِ بُشرى . ولكنَّهُمْ مـا برِحُوا أماكِنَهُمْ حتّى أدّى كُلُّ واحدٍ منْهُمْ ما وجبَ عليْهِ لِشراءِ بقرتَيِ الرِّهانِ . ولمّا أصبحَ الصَّباحُ اشترَوا البقرتَيْنِ وساقُوهُما إلى بيتِ أبي بِشرٍ .

ومُنذُ ذلكَ اليومِ صارَ بيتُهُ عُنواناً للسّعادةِ والوِئامِ ، حتى ضُربَ بِهِ المثلُ ، وصارَ النّاسُ يُبارِكُونَ لِمنْ يتزوّجُ مِـنَ

الشَّبابِ بِقَوْلِهِمْ : « هَنِيئاً لِلْبَشِيرِ بِبُشْرَاهُ ! » أَوْ « هَنِيئاً لِبُشْرَى بِبَشِيرِها ! » . وَسُمِّيَتِ الرَّبْوَةُ الَّتي كانَ يُوجَدُ عَلَيْها بَيْتُ أَبي بِشْرٍ بِالرَّبْوَةِ السَّعِيدَةِ .

انتهت

طبع وإخراج الدار التونسية للنشر

54 شارع الحرية تونس ـ الهاتف : 873 ـ 285 / 878 ـ 285

القصص المدرسية

- الهميان المفقود
- الإخوة الثلاثة
- الأميرة المظلومة
- مغامرات ذكي
- الأميرة في القصر المسحور
- التاجر والعفريت
- الأخلاق الفاضلة
- شرفنطح البليد
- الفرحة الكبرى
- عجائب السندباد
- الكيس العجيب
- الحطاب الطموح
- الرّبوة السّعيدة

نشر: دار الثقافة ـ الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ـ الدار التونسية للنشر